الدراسات القرآنية
في مناهج البحث الاستشراقي
المعاصرة

بقلم د/حســـــن عزوزي

يسعى هذا البحث إلى التأكيد على أن طرائق ومناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم تختلف عن تلكم الموظفة في علوم أخرى، ذلك أن المنهج الاستشراقي العـــام في دراســـة تاريخ القرآن الكريم وعلومه يكاد يكون لا علميا ومفصولا عن ســـياق الموضوعية والحياد المطلوبين في كل بحث وبالتالي في كل منهج علمي. لقد بـــات من المعروف أن كل ما تعلق بالقرآن في دراسات القوم لا يمكن الاعتداد به ألبـــته، لأنه لا محالة محطم للمسلمات التي يجزم بها المسلمون ومشكك في البداهات الـــتي يؤمنون بها، وأصبح في حكم اليقين أن عالم المشرقيات عندما يتأهب لدراسة القرآن الكريم، يضع نصب عينيه دعوى بشرية القرآن محتملا أن يكون مصدره من كل جهة إلا من السماء، وبالتالي، وبناء على هذا الاعتقاد الذي يصبح عند الرجل مسلّمة بديهية، تأتي كل أبحاثه وجميع دراساته قد استوت على أساس غير صحيح، وانحرفت عن المنهج الصائب الذي يفرض نوعا من التعاطف أو على الأقل نوعا من الاحترام النسبي للمصدر الغيبي الذي ينبني عليه الوحي القرآني.

إنـــنا بالمقـــابل لا ننكر تغير المنهج الاستشراقي في هذا المجال نحو الأفضل والأحســـن، فـــثمة فرق بين الاستشراق القديم والاستشراق المعاصر لكنه فرق في الدرجـــة فقـــط و ليس في النوع . لقد أضحى الاستشراق المعاصر أقدر على تفهم

واســـتيعاب بعض قضايا ومسائل علوم القرآن وإيحاءاتها عكس ما كان سائدا قبل مطلع هذا القرن حيث كانت أبحاث المستشرقين القرآنية يطبعها منهج عدواني سافر يوجه من خلاله الشتم والسب والتجديف في حق القرآن الكريم والنبي الكريم.

لقـــد بـــات من المفروض علينا ونحن نروم الحديث عن الجانب المعاصر في مناهج البحث أن نحدد الفترة التي تتموضع في إطارها أبحاث ودراسات المستشرقين المعاصـــرة. ولا نخفي أنه بعد الاجتهاد في الأمر والنظر مليا في اتجاهات الاستشراق وتحولاتـــه، تـــبين أن رجلا لقب بشيخ المستشرقين في الدراسات القرآنية كان يمثل فعلا حلقة وصل بين المنهج الاستشراقي القديم

والمـــنهج الاستشـــراقي المعاصر، ويمثل فكر الرجل الذي هو تيودور نولدكه (ت 1931) Th. Noldeke في هـــذا المجال كتابه الشهير "تاريخ القرآن" Geschichte des Qorans، الـــذي يعد دستور المستشرقين في معرفة تاريخ القرآن، حتى أضحى الكـــتاب أبرز المصادر التي لا يستغني عنها الباحثون الغربيون في ميدان القرآنيات، فهـــو عـــرض تاريخي مفصل لكل المسائل والموضوعات التي تتصل بتاريخ القرآن الكريم وعلومه ومختلف مباحثه وقضاياه منذ نزول الوحي إلى عصر المؤلف.

ومن أسباب شهرة الكتاب وتنسم صاحبه لمجد أثيل في أوربا -نرى معشر الباحـــثين المسلمين أنه لا يستحقه- اتباع نولدكه لطريقة في التأليف استرعت انتباه زملائه المتخصصين في سائر معاقل الاستشراق في أوربا وأمريكا، حيث حرص على إبـــراز سائر وجهات النظر الثابتة في مسألة من مسائل علوم القرآن معتمدا في ذلك عـــلى استقصاء مختلف الآراء من مصادر عربية وأجنبية شهيرة ومغمورة، مخطوطة ومطـــبوعة عـــلى حـــد ســـواء، كما أنه اتبع في عملية الاستقصاء والاستقراء، ثم الاستدلال منهجا أكاديميا صارما لم يكن معهودا فيما قبل، وبذلك أمكن القول بأن

نولدكـــه قـــد وضع منهجا جديدا في الدراسات القرآنية لعل أبرز معالمه الرجوع مباشـــرة إلى المصـــنفات العربية اللصيقة بمجال القرآنيات في الوقت الذي كان فيه المـــنهج الاستشـــراقي في القديم يخلط بين شيء قليل مما هو مبثوث في المصادر وما كانت تمليه تخيلات وتكهنات المستشرقين.

بـــيد أن الحقيقة المتمثلة في استعمال نولدكه لأدوات بحث جديدة ولمنهج صـــارم في الدراسة والتحليل لا يمكنها أن تحجبنا عن استبصار حقائق أخرى تتمثل في ســـوء توظيف تلك الأدوات البحثية بشكل مبيّت فضلا عن القصور والخلل في المنهج المطروق.

وإذا أمكن اعتبار كتاب نولدكه منعطفا بارزا في سياق البحث الاستشراقي في الدراســـات القرآنـــية، فـــإن مما زاد تكريس هذا الأمر اهتمام كافة المستشرقين المـــتأخرين بالكـــتاب واتكاؤهم عليه في أبحاثهم ودراستهم حتى إنه لا يكاد يخلو مؤلـــف في الموضوع من الاعتماد على الكتاب ومتابعة صاحبه فيما ذهب إليه من آراء ومواقف، ولا يمكن أن ننسى بهذا الصدد دور مدرسة نولدكه الألمانية في حقل القرآنـــيات ، و هي مدرسة اشتهرت و برزت كغيرها من المدارس الأوربية حيث بـــرز فـــيها ثلاثة رواد رابعهم مس شيخهم نولدكه الذي عهد إلى هؤلاء التلاميذ شـــقالي Schwally و أوتو برتزل O. Pretzel وبرجستراسرا Bergstrasser مهمة تنقـــيح الكتاب والتعليق عليه، وهو ما حصل فعلا عندما تم إخراج جزئين منه عام 1919، في حين تم إصدار الجزء الثالث عام 1926[1].

لقـــد فتح نولدكه بكتابه هذا بابا و وجه كثيرا من المستشرقين التزّاعين إلى دراسة القرآن الكريم على نحو يرى أن الدراسات القرآنية لا يمكن أن تبحث بمعزل عن الدراسات اللغوية والمناهج الفلولوجية واعتماد المصادر القديمة، ويمكن القول إن

كـــتاب نولدكه كان فصلا فاصلا بين عهد كان يدرس فيه القرآن على أساس أنه هـــرطقة ومجموعـــة من التخيلات والتصورات جاء بها نبي مزيف، وبين عهد أخذ يـــنظر فيه إلى القرآن بقدر ولو ضئيل من الاحترام على أساس أنه كتاب المسلمين المقـــدس الذي يجب أن يدرس أسلوبه وتبحث مضامينه وينقب عن حلقاته. غير أن المستشـــرق الـــذي يدرس القرآن ولا يؤمن بكونه من عند الله تعالى مهما حاول الـــتجرد من الهوى والتزام شيء من الموضوعية والحياد فإنه واقع لا محالة في أخطاء فظـــيعة ونظريات واهية تتأرجح بين سوء الفهم تارة وسوء النية تارة أخرى، فهذا نولدكه نفسه لا يتردد في الحكم على نبينا محمد ﷺ بقوله وبئس القول: "صانع غير موهوب لسور قرآنية مشوشة الأسلوب".

لكن يمكن الاعتراف بأن المستشرقين الأكثر معاصرة لنا (النصف الثاني من ق 20) هـــم أقـــدر على تحاشي وتفادي أساليب الطعن والتجريح في حق القرآن ونبينا عليه الصلاة والسلام، فقد فرضت علاقات هؤلاء بالدول العربية والإسلامية وبشخصياتها العلمية قدرا من الاحترام والتعاطف مما أمكن القول بان قصور وخلل المـــناهج الاستشراقية المعاصرة في مجال القرآنيات أمر قد لا يظهر جليا لغير القلة من المتخصصين في علوم القرآن ممن يستطيعون تبيين واكتشاف مواطن الخطأ والضعف في إنتاجات المستشرقين في هذا الميدان.

فهذا مونتغمري وات Watt. يقول في مقدمة كتاب "محمد في مكة" وهو يوضح منهجه وطريقته في التعامل مع القرآن الكريم، "فيما يتعلق بالمسائل الكلامية الـــتي أثيرت بين المسيحية والإسلام فقد جهدت في اتخاذ موقف محايد منها، وهكذا وبصـــدد معـــرفة ما إذا كان القرآن كلام الله أو ليس كلامه امتنعت عن استعمال تعـــبير مثل (قال تعالى) أو (قال محمد) في كل مرة استشهد فيها القرآن، بل أقول

بكل بساطة (يقول القرآن). وأقول لقرائي المسلمين شيئا مماثلا فقد ألزمت نفسي، برغم إخلاصي لمعطيات العلم التاريخي المكرس في الغرب أن لا أقول أي شيء يمكن أن يتعارض مع معتقدات الإسلام الأساسية" هـ[2]

فالـــرجل إذن تجاوز طريقة المستشرقين القدامى الذين كانوا ينسون حديث القـــرآن ومعطياته إلى محمد ﷺ بقولهم (قال محمد صلعم أو ذكر محمد صلعم...)، لكـــنه في نفس الوقت لا يستطيع أن يقول (قال الله تعالى) لأنه لا يؤمن بأن القرآن كلام الله، وهذا أمر يجب استيعابه جيدا لاعتبارين اثنين:

أولا: يجـــب عـــدم الانخداع بما قد يظهره بعض المستشرقين من تعاطف بالغ من قضايا الإسلام، ومن ذلك استشهادهم بنصوص قرآنية مسندين إياها إلى الله تعالى، فالأمـــر لا يعـــدوا أن يكون مظهرا جماليا وحضاريا يسعى المستشرق من ورائه إلى التقرب إلى المسلمين وكسب مودتهم.

ثانيا: يجـــب أن نعلم جيدا أن الباحث الغربي مادام مستشرقا يدرس الإسلام من زاوية خارجية ووفق منظور تغريبي، فلا ينتظر منه أن يؤمن بما نؤمن به وإلا لدخل في الإســـلام، يقـــول المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون M.Rodinson: "لو سايرت المسلمين في إيمانهم، ولو أخفيت عنهم حقيقة رأيي حول القرآن لكان ذلك أدعـــى لي إلى ربـــط علاقة وطيدة بيني وبين المسلمين وبين الحكومات الإسلامية، ولكنني لا أريد أن أخدع أحدا، وبإمكان المسلمين الامتناع عن قراءة كتابي (يقصد كتابه عن سيرة محمد ﷺ) والاطلاع على تفكير غير المسلم حول هذه القضية ولهم الحـــق في ذلـــك... فأنا لا أعتقد طبعا أن القرآن هو كتاب الله، إذ لو كان الأمر كذلك لأصبحت مسلما..." اهـــ[3].

مـــن جهـــة أخـــرى لا بـــد من الإشارة إلى أنه إذا كانت هناك فئة من المستشـــرقين لا تـــزال تعتمد في أبحاثها القرآنية على الجمع والتدقيق في الجزئيات والبحـــث في مســـائل فرعـــية دقـــيقة مرددين ما سبق لغيرهم أن بحثوه ومضغوه واســـتهلكوه، فإن فئة أخرى من المستشرقين ممن تبين لهم عقم هذا المنهج التاريخي الـــبالي وانسداد طرقه وعدم جدواه قد نحوا منحى جديدا في دراساتهم مستخدمين طـــرائق العلوم المعاصرة ومستفيدين من تقدم العلوم الإنسانية: تاريخ العلوم وفلسفة العلـــوم وعلى الأخص توظيف المنهج التحليلي في نقد النصوص (ما يعرف بالمنهج الهرمينوطيقي L'hérméneutique).

ولمـــا كانت هذه المحاولات قليلة ونادرة لا تتجاوز بعض الكتب والأبحاث المنشـــورة في مجـــلات المستشـــرقين العالمية، فإنه يصعب الحكم مبكرا على مدى جديتها وجدواها. ويبقى أن حصيلة الدراسات القرآنية المعاصرة التي أنجبتها معاقل الاستشـــراق الغربـــية والـــتي تكفل لنا تكوين نظرة عامة عن مناهج المستشرقين المعاصـــرين في الدراســـات القرآنية لا تتعدى كتب كبار المستشرقين التي اهتمت بالحديث عن تاريخ القرآن وعلومه أو بموضوعات لها علاقة لصيقة بذلك.

مـــن جهة أخرى لا نخفي ونحن نحاول استقراء مختلف مناهج المستشرقين المعاصـــرين في دراســـة علوم القرآن وتاريخه صعوبة استبيان طرائق المعالجة وآليات المنهج الموظف والمطروق نظرا لتباين الخلفيات الفكرية التي ينطلق منها القوم وكذا تـــنوع مداخل وطرق البحث المطبقة و لهذا فإن الأمر يحتاج بالتأكيد إلى كثير من التنقيب و البحث واستعمال الحس النقدي الكفيل بمتابعة المستشرق في عمله خطوة بعد خطوة من أجل الوقوف على معالم المنهج المتبع ومواطن الخلل والضعف التي قد تطالها.

إنـــنا بقـــدر ما ننوي استعراض مناهج القوم في دراسة القرآن الكريم والتي تعتبر إلى حد بعيد مخلة بقواعد المنهج العلمي الصحيح بقدر ما نتجاوز الإشارة إلى بعـــض الأعمـــال المفـــيدة الـــتي قدمها زمرة من المستشرقين في مجال تحقيق ونشر النصـــوص المتعلقة بالدراسات القرآنية مثل التسيير والمقنع وكلاهما للداني[4] وغاية الـــنهاية في طـــبقات القراء لابن الجزري[5] وبعض الكتب شواذ القراءات ومعاني القـــرآن وغيرهـــا. ويرجع لتلاميذه نولدكه الألمان أكبر الفضل في ارتياد مجال نشر وتحقيق النصوص القرآنية، وهو ما كان يمثل بالنسبة إليهم جزءا من مشروع أضخم شـــرع فيه هؤلاء بتأسيس معهد للأبحاث القرآنية بمدينة ميونيخ، وقد اهتموا بجمع كـــل المصـــادر المطبوعة والمخطوطة المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه مع الشروع في إنجاز أوسع وأضخم تفسير للقرآن يتمثل في وضع كل آية من آيات القرآن في علبة خاصـــة تجمـــع فيها تفسيرات الآية حسب مفسري القرآن منذ عهد الصحابة إلى عصرنا هذا. ورتبوا تلك الاقتباسات حسب زمن المفسر الأقدم فالأقدم ، فكان من الممكن أن يعرف تطور التفسير لكل لفظة ولكل آية من القرآن. غير أن هذا المعهد الـــذي احتضن المشروع قد وقعت عليه قنابل الحرب العالمية الثانية فدمرته و أتلفت المشروع .

إن مـــثل هذه الأعمال الإيجابية لن نقف عندها لأن مهمتنا في هذا البحث تقتضـــي الكشـــف عن مناهج هؤلاء المستشرقين في دراسة القرآن و علومه و التي نؤكـــد مـــرة أخـــرى أن المستشرق مهما حاول أن يكون على درجة من الحيادية والتزام الموضوعية في أبحاثه القرآنية فإنه لن يفلح في ذلك لأن دراسات المستشرقين في مجال القرآنيات ليست كغيرها لا لشيء إلا لكونها تنصب على موضوع حساس يرتبط بمسألة الوحي المحمدي الذي لا يؤمن به الباحث الغربي ولا يمكن أن يتعاطف

معـــه مبدئـــيا، وبالتالي لا بد أن تؤثر عليه قناعته الدينية وخلفياته الفكرية في مجال البحـــث، كما أن المسائل القرآنية تربط بالعالم الغيب الذي ليس بمقدور الحس أو العقـــل أن يدلي بكلمة فيها إلا بمقدار، إذ أن رؤية المستشرقين العقلية والمادية لا بد أن تمـــارس نوعا من التكسير والتجريح في حق القرآن الكريم وعلومه فترتطم بذلك بالبداهات والمسلمات.

وننـــتقل الآن إلى اســـتعراض بعض أبرز المناهج الاستشراقية المعاصرة التي نراها سلبية ومغرضة.

أولا: منهج التشكيك فيما هو قطعي:

لقـــد انســـاق المستشرقون المعاصرون مع أسلافهم في اتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، واعتمدوا في ذلك عملية الانتقاء بطريقة مغرضة وهادفة إلى مـــا يصـــبون إليه من نتائج عكسية. لقد وجد المستشرقون ولش Welch كاتب مادة"القرآن" في دائرة المعارف الإسلامية في طبيعتها الجديدة[6] في انفراد ابن مسعود (ض) بمصـــحف خـــاص خـــال مـــن ذكر المعوذتين[7] بابا يلجه كما وجه غيره للتشـــكيك في مدى تواترية السورتين، وبالتالي التشكيك في مدى موثوقية القرآن الكريم، لقد حاول الرجل تدعيم ما ذهب إليه بنصوص منقطعة وضعيفة تصيدها من كـــتاب "المصاحف" لابن أبي داود وغيره من الكتب التي لم تتحر الصحة في النقل. ولا شـــك في أن الرأي المنسوب إلى ابن مسعود (ض) باطل من أساسه، وقد رده كـــثير من العلماء، نكتفي هنا بذكر ما أورده الإمام الباقلاني (ت 403) في كتابه "إعجـــاز القـــرآن" حيث قال[8]: "... ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا، لكانـــت الصـــحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقل من

هـــذا. وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه ؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه في المصحف..."

ثم بـــين كيف أن الرواية المنقولة بهذا الصدد لا تعدو أن تكون خبر أحاد لا يسكن إليه ولا يعول عليها.

فالمستشـــرقون إذن بالـــرغم من اقتناعهم بتواتر جميع سور القرآن جيلا بعد جيل، خاصة وأن التاريخ لم يذكر لنا تبني أية طائفة من المسلمين لهذا الرأي الباطل المنســـوب إلى ابـــن مســـعود، فإنهم يسعون إلى التشكيك فيما هو قطعي ومتواتر وتنطق به ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم.

ثانيا: إهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاحتفاء بدراسات المستشرقين السالفة.

يـــبدو أن مـــن أخطاء منهج المستشرقين في اعتماد مصادر ومراجع معينة تعمـــد عـــدم الاكتراث بموثوقيتها وأولوية بعضها عن البعض الآخر، لهذا نجد أن المستشرق الذي يسعى إلى فرض فكرة معينة وتكريسها لا يلقي بالا إلى المصادر التي ترمي مضامينها إلى عكس ونقيض ما يذهب إليه.

فالبحـــث الاستشـــراقي المعاصـــر في حقل القرآنيات يختلف عن المنهج الإســـلامي المؤسس على ضرورة اعتماد الموثوق من المصادر والمشهود له بالأولوية والتمـــيز، فالمصادر القرآنية الموثوقة ليس فيها ما يسعف القوم في تبرير وتسويغ ما يصبون إلى تأكيده من أحكام مغرضة واستنتاجات

مغلوطـــة وخاطـــئة أريد لها أن تكون كذلك، وإذا ما أرادوا الرجوع إلى شيء من المصـــادر العربية فإنهم يتهافتون جميعا على تلكم المصادر غير الموثوقة والتي عرفت

لـــدى علمائنا الأسلاف بضعف نقولها ومروياتها مثل كتاب "المصاحف" لابن أبي داود (ت 316) و "الإتقان" للسيوطي (ت 911) في كثير من مباحثه.

إن بلاشـــير الفرنســـي مثلا لا يتوانى في الإحالة على كتاب نولدكه كلما تعلـــق الأمر بذكر أحاديث نبوية أو روايات مأثورة تختص بمسألة جمع القرآن مثلا. والأدهى من ذلك أن نعثر في كتاب بلاشير "مدخل إلى القرآن الكريم" على هامش يحيل فيه على كتاب نولدكه ثم يضع بين قوسين إشارة إلى أن نولدكه قد أسند نقله إلى الطبري في تفسيره. لكن تبين لبلاشير أن الإحالة غير صحيحة ونص عليها ومع ذلك نجد الرجل لا يعير المسألة أدنى اهتمام بل يمضي قدما ويستشهد بما ذكره سلفه من نقول أو روايات تخدم هدفه ومرماه[9].

أمـــا لجـــوء المستشرقين إلى الإحالة على كتب زملائهم أولا ثم الإشارة بعد ذلـــك إلى المصادر العربية فهذا أمر يكاد يكون مطردا، فبلاشير مثلا يحيل في هامش واحـــد على كتاب نولدكه ثم يقفه بكتاب الواحدي في أسباب النزول وتفسير أبي حيان ثم الإتقان للسيوطي[10].

هذا إذن هو منهج المستشرقين في تصيد النصوص الملائمة والموافقة لهواهم، لا يهمهـــم اعتماد الموثوق من المصادر بقدر ما يهمهم الاستشهاد بنصوص تدعم نظـــرياتهم وآرائهـــم وهـــي مـــن دون شك لا يعثر عليها سوى في بطون كتب المستشـــرقين أو كتـــب الأدب والـــتاريخ مثل مروج الذهب للمسعودي والأغاني للأصفهاني والفهرست لابن النديم، فمثل هذه الكتب قد أكثر جولدزيهر النقل منها في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي[11].

ثالثا: منهج الأثر والتأثر :

هـــذا المنهج يعني الأخذ بالنزعة التأثيرية وهي نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشـــرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية.

لقد كان المستشرقون القدامى أكثر اهتماما بهذه النزعة في كتاباتهم حتى إن أحدهـــم وهـــو اليهودي أبراهام غايغر A.Geiger أصدر عام 1833 كتابا يحمل عـــنوانا مـــثيرا هو "ماذا أخذ القرآن عن اليهودية[12]" وقد كان هذا الكتاب إيذانا ببداية حقبة جديدة في البحث الاستشراقي تهدف إلى التنقيب عن كل ما قد يبدو للمسترقين في القرآن منقولا ومستقى من اليهودية، وقد أقبلت أبحاث هؤلاء تفكك وتقطع مضامين القرآن الكريم لتردها إلى عناصر توراتية -يهودية مزعومة.

ومـــما لا شك فيه أن الأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج تكون حاضرة في كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الموضوعات القرآنية والموضوعات المبثوثة في الإنجـــيل أو الـــتوراة. وهكذا يكون القصص القرآني مأخوذا -في زعمهم- عن القصص اليهودي والنصراني، وتكون كثير من الأسماء الواردة في القرآن ذات أصل عبراني مثلا حتى إن أحدهم وهو المستشرق الفرنسي اليهودي أندري شوراكي A. Chouraqui قد أصدر منذ ثمان سنوات ترجمة لمعاني القرآن لفظها المستشرقون قبل غيرهم من المسلمين، وقد احتفظ فيها بالأصول العربية لبعض الألفاظ من غير ترجمة إمعانا منه في بيان أصلها العبراني كما يزعم[13].

إن هـــذا المـــنهج العـــدواني الذي يجعل القرآن متأثرا ومقتبسا من التوراة والإنجـــيل يـــنفي بطبيعة الحال كل أصالة للدين الإسلامي ولربانية المصدر القرآني، والمستشـــرقون عندما يطبقون هذا المنهج على القرآن فإنهم يرجعون أسسه ومبادئه

ومضـــامينه إلى أصـــول يهودية ونصرانية، ولا يكاد ينجو من التأثر بهذا المنهج أي صـــنف من المستشرقين سواء كانوا قدامى أو معاصرين، فإن كان الباحث يهوديا غلبت نزعة التأثير اليهودي، وإن كان نصرانيا هيمنت نزعة التأثير النصراني.

فهـــذا المستشرق المجري أنياس جولدزيهر I. Goldziher يقول بشيء من الـــتحايل والدهاء وهو يحاول النفاذ إلى القرآن بحثا عن عناصر أجنبية يشده بها إلى أصـــولها المدعاة: "القرآن مصدق لما سبقه من الرسالات الدينية، وقد استصفى منها بعـــد فـــترة من الرسل ما هو من جوهر الدين." ثم يحاول أن يعتسف من الأدلة ما يعـــزز دعواه فيقول: "شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة وبما فـــيها من ركوع وسجود وبما يسبقها من وضوء تتصل بالمسيحية الشرقية، والصوم الذي جعل أولا في يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودي الأكبر، وفيما يتعلق بشعائر الحج التي نظمها الإسلام أو بالأحرى احتفظ بها من بين تقاليد العرب الوثنية جعل محمدﷺ أهمية كبرى لنية التقوى التي يجب أن تصحب هذه الشعيرة حين يقول:"لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم[14]."

وهكذا يكون القرآن في نظر هذا المستشرق وغيره من زملائه اليهود قد تأثر بأفكـــار يهودية تسربت إليه وتضمن مصطلحات وشعائر دينية يهودية اقتبست من الـــتوراة. كما أن قصص الأنبياء وأسماءهم إنما أخذت عن اليهود، إنهم يريدون أن يلجأوا إلى هذا المنهج الخطير الذي يزعم تأثر القرآن بغيره من الكتب السماوية لكي يـــنفوا ربانـــية المصدر القرآني، ولكي يثبتوا اختراق النصرانية واليهودية على وجه الخصوص للقرآن وتعاليمه.

إن تشبع المستشرقين بمنهج الأثر والتأثر راجع إلى كون هذا المنهج قد طبق بصـــورة صـــارمة في بيئـــتهم، ذلك أن النهضة الأوربية قد تأسست على الحضارة

اليونانيـــة التي تعتبر الميراث القديم للفكر الغربي، وهكذا كلما أنشئ مذهب فكري وديـــني جديـــد إلا ووجد له نظير في الحضارة اليونانية القديمة، ومن خلال هذا تم تطبيق هذا المنهج على كل معطيات التراث الإسلامي ومنها حقل القرآنيات، وذلك مـــن غـــير اكـــتراث بخصوصيات وأصالة التراث الإسلامي ذي الأصول والأسس الواضـــحة المؤسسة على معايير دينية أصيلة مستمدة مباشرة من الوحي الإلهي المنزل على محمدﷺ.

رابعا: المنهج الافتراضي:

إذا كـــان المستشرقون في منهجهم التشكيكي في الوقائع القطعية يشككون فيما هو أدنى إلى الصدق، فإنهم في أخذهم بالمنهج الافتراضي يصدقون ما هو أدنى وأقرب إلى الكذب.

ولعـــل أبـــرز حقل قرآني مارس فيه القوم هذا المنهج هو ما تعلق بترتيب الآيات والسور في القرآن حيث نجد معظم المستشرقين المعاصرين قد أبدوا في مسالة ترتيب الآيات على وجه الخصوص موقفا مخالفا لما هو مقرر لدى المسلمين من كون ترتيب الآيات أمرا توقيفيا لا خلاف فيه. فهم إذن، وانطلاقا من منهجهم التاريخي الـــذي يفـــترض ترتيبا منطقيا يقبله العقل البشري حاولوا افتراض ترتيبات جديدة يحكمهـــا الهـــوى المجرد، وهذا الترتيب الجديد الذي قادهم إليه سلوكهم للمنهج الـــتاريخي قد علق عليه المستشرقون اخطر النتائج في حقل القرآنيات واتخذوه أكبر مدخـــل للطعن في صحة القرآن وتضارب أحكامه وخضوعه إلى الظروف الزمانية والمكانية.

فالمستشـــرق الإنجلـــيزي أرثر جفري A. Jeffery يأتي مثلا بفرضية حول ســـورة الجن فيقول: "إن الآيات الخاتمة للسورة تختلف كثيرا في الشكل والأسلوب وتظهر وكأنه قطعة غريبة وضعها جامعوا القرآن أو كتبه"(15)

وهـــذا رودويل Rodwell الذي انطلق من كون الآيات التي نزلت مع أول الوحـــي كانت تتسم بالقصر قد حاول أن يضع على أساسها ترتيبا جديدا للسور المخـــتلفة، فنراه مثلا يعلق على سورة (الملك) بقوله: "من الواضح أن الآيات من 8 إلى 11 قـــد نزلت متأخرة عن بقية السورة ثم ألحقت بها لأن كلا منها أطول بكثير من بقية آيات السورة"[16]

وفي دراسة للمستشرق الفرنسي كلود جيليو C. Gilliot الأستاذ بجامعة أكس أن بروفانس حول الآية الأولى من سورة الإسراء[17] حاول الرجل أن يبرهن أن الآيـــة الأولى المتعلقة بمعجزة الإسراء قد جاءت منفكة ومعزولة عن بقية الآيات، فهـــي تنتهي بالفاصلة مخالفة لتلك السائدة في باقي آيات السورة كما أن الحديث ينـــتقل بصورة مفاجئة إلى موضوعات أخرى لا علاقة لها بحدث الإسراء. ويحاول الرجل أن يعزز افتراءه بما سبق أن ذكره بعض المستشرقين السابقين مثل نولدكه في كتابه "تاريخ القرآن" الذي رجع بدوره إلى ما أورده سلفه Weil قايل فيقول بكل وقاحة: "قد تكون هذه الآية مختلفة بعد وفاة محمد ﷺ وأدرجت في القرآن في خلافة أبي بكر، لأنه من المستحيل أن يكون محمد ﷺ قد أدعى الإسراء به إلى بيت المقدس لأنه كان يصرح دوما أنه مجرد بشير ونذير وليس صانع معجزات[18].

إننا لسنا بحاجة في هذا المقام للرد على هؤلاء المغرضين بأن الآيات التي نعتوها بالدمج المتأخر قد جاءت مترابطة بدرجة كبيرة وعلى أسس بلاغية فائقة مع الآيات السابقة لها والتي تأتي بعدها، وهو ما بينه المفسرون أثناء حديثهم عن تناسب مطلع ســـورة الإسراء لما بعدها[19] والحديث عن صنعة الالتفات الحاصلة بين الآية الأولى (صيغة الغيبة) والآيات التي بعدها (صيغة الحضور) مما استغربه كلود جيليو في بحثه الآنف الذكر.

ويكفـــي للرد على افتراضاتهم أنه إذا كانت تلك الآيات لم تنزل في نفس الوقـــت الـــذي أنزلت فيه بقية السورة فما هو إلا دليل صريح على أن ما جاء في المصـــحف من ترتيب للآيات على غير الترتيب التنزيلي إنما هو من عند الله الحكيم الخبير وكفى.

إنه مما لا شك فيه أن طريقة المستشرقين في ترتيب الآيات ترتيبا زمنيا تنم عن تعســـف في إطـــلاق الأحكام واتباع الهوى وحب الافتراض والتخمين، وفي ذلك تجـــاهل لقيمة الرواية الصحيحة التي تعتبر الطريقة الوحيدة في ترتيب القرآن ترتيبا دقيقا وحكيما، والجدير بالإشارة أن

بعض المستشرقين المعاصرين قد وصلوا إلى نتيجة مفادها استحالة هذا الترتيب وعدم تحقيقه لنتيجة مرضية، ولهذا اقتنع نولدكه في آخر حياته بهذا الأمر حين سئل مرة أن كـــان يشعر بالندم لأنه لم يمض تلك العقود من السنين في دراسة تعود على الجنس البشري كالطب والكيمياء أو أي فرع آخر غير الدين واللغات والفلسفة؟ فأجاب بقوـــله: "إذا كان من ندم فلأنني درست علوما لم أظفر منها في النهاية بنتائج قاطعة وحاسمة"..

وجـــاء بعد نولدكه ريجس بلاشير الذي كان قد ترجم معاني القرآن وفق ترتيب نزولي للسور ثم تراجع عن ذلك لدى إعادة طبع الترجمة.

ونختـــتم حديثـــنا عن المنهج الافتراضي لدى القوم بذكر مثال مثير للغرابة، فالمستشـــرق الإنجلـــيزي المعاصـــر منتغمري وات وقف عند أمر القرآن للمؤمنين بالاســـتئذان قبل الدخول لبيوت غير بيوتهم[20] فلم يجد تفسيرا لذلك إلا أن يقول بأن ذلك دليل على انحطاط في مستوى الأخلاق كان النبي ﷺ بحاجة إلى السمو في نفوس أصحابه[21]، فمن أين أتى الرجل بهذا الافتراض والاستنتاج؟ وهل هذا يعني

أن الأخلاق لو كانت غير منحطة، فهل ذلك يسمح بولوج بيوت الآخرين من غير استئذان؟.

خامسا: المنهج الاسقاطي

تفسير الوقائع والنصوص بالإسقاط أمر دأب المستشرقون على توظيفه في أبحاثهم القرآنية، ونعني بالمنهج الإسقاطي إسقاط الواقع المعاش على الحوادث والوقائع التاريخية.

وهكذا يتم تفسير تلك الوقائع وفق المشاعر الإنسانية الخاصة والانطباعات التي تتزكها بيئة ثقافية معينة، فالمستشرق الباحث عندما يضع في ذهنه صورة معينة يحاول إسقاطها على صور ووقائع معينة يخضعها إلى ما ارتضته مخيلته وانطباعاته.

ومن أمثلة المنهج الإسقاطي لدى المستشرقين ما أورده بلاشير في سياق البحث عن أسباب عدم جمع القرآن في مصحف في عهد النبي ﷺ من أنه عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يميلون إلى ترك الأمور على ما هي عليه لأن العرب في جملتهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهمهم المستقبل. وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده ﷺ(22)

ولا شك أن هذا التفسير الإسقاطي الفاسد لا يستند إلى أدنى دليل علمي أو منطق عقلي، فهو منهج يخضع لهوى المستشرق وأحكامه المسبقة مما تنتج عنه أحكام تعسفية وجائرة. إذ من المعلوم أن الرسول ﷺ كان يحث أصحابه على حفظ القرآن وكتابته خوفا عليه من الضياع، وقد بلغ الحرص على كتاباته وتدوينه في مختلف الوسائل التي كانت متاحة وقتئذ أن نهى أصحابه أول الأمر من كتابة الحديث حتى لا يختلط بالقرآن، كما أن عليه السلام كان يستدعي كتبته الذين فاق عددهم الأربعين ويأمرهم بكتابة جميع ما يترل عليه من القرآن ويشير إلى مواضع

الآيات من السور، وهو ما يشير إليه حديث زيد بن ثابت (ض): "كنا عند رسول اللهﷺ نؤلف القرآن من الرقاع"[23]. فكل هذا يدل على أن الرسول ﷺ وصحابته كانوا يفكرون في حفظ القرآن مدونا ومكتوبا لمن يأتي بعدهم، غير أن جمعه في مصحف لم يكن ممكنا آنئذ، لأنه عليه السلام كان يترل عليه القرآن منجما طيلة ثلاث وعشرين سنة فكان يترقب كل مرة ورود زيادة أو نسخ الأحكام أو التلاوة.

ومن أمثلة هذا المنهج الإسقاطي أيضا ما ذهب إليه بعضهم من أن تمايز أسلوب القرآن المكي عن الأسلوب المدني يرجع إلى بيئة قريش المنحطة وبيئة المدينة المتقدمة والمتحضرة، فإذا كانت الآيات المكية قصيرة فلأن معظم أهالي مكة أميون جاهلون وأجلاف، وإذا كانت الآيات المدنية طويلة وواضحة فلأن البيئة المدنية واعية ومتأثرة بالنفوذ اليهودي المهيمن بها.

لا شك أن هدف المستشرقين من هذا الكلام الذي يرمي إلى إثبات دعوى تأثر القرآن وأسلوبه بالبيئة التي نزل فيها هو القول بأن القرآن من كلام محمد ﷺ لا كلام الله تعالى. ويتجاهل المغالطون من المستشرقين الذين يعملون جيدا مراحل تطور الدعوة الإسلامية من مكة إلى المدينة أن خطاب أهل المدينة لا يمكن أن يكون مماثلا لخطاب أهل مكة، فتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة في ظل بيئة جديدة قد أصبح يستدعي التفصيل في التشريع وبناء المجتمع الجديد، فلا غرو إذن أن يطنب القرآن بعدما كان يوجز، ويفصل بعدما كان يجمل. أما في مكة فقد كانت الآيات التي تترل تشتد في تسفيه أحلام المشركين ومقارعتهم بالحجج وتحديهم. فالأمر كان يتعلق بتأسيس أسس العقيدة الصحيحة وتدمير معالم العقائد الوثنية السائدة. فطبيعة الأسلوب القرآني قد اختلفت من مكة إلى المدينة نظرا لمراعاة

حـــال وتـــدرج الدعـــوة وليس في ذلك أدنى مراعاة لمدى تحضر أو تختلف الأقوام المخاطبين كما رمى إلى ذلك زمرة المغالطين والمغرضين من المستشرقين.

سادسا: التركيز على المرحلة التأسيسية للحقل القرآني بهدف تدمير الثقة في مقوماتها ورموزها:

إن مـــن أبرز ما تميز به الاستشراق المعاصر عن الاستشراق القديم اهتمامه بشـــكل دقيق ومفصل بالمرحلة التأسيسية للعلوم القرآنية وعلى رأسها علم التفسير، فـــبعد الاهـــتمام البلـــيغ بمراحل جمع القرآن وتكوين مصحف إمام، أخذ الاهتمام الاستشراقي يتوجه إلى بحث البدايات الأولى لظهور علم التفسير مع جيلي الصحابة والـــتابعين، ويـــبدو الهـــدف الرئيســـي من كل ذلك تحطيم أسس العلوم القرآنية وركائزها المتمثلة في المرويات والمأثورات المتصلة بالصحابة والتابعين قصد الخلوص إلى نتـــيجة مفادها أن التراث التفسيري لم يدون إلا في مرحلة متأخرة عن العصور الأولى.

وقـــد نهـــج المستشرقون في كل ذلك طرائق عدة تمثلت في التشكيك في الـــروايات الصـــحيحة والتقلـــيل من أهمية ومكانة رموز علم التفسير كابن عباس ومجـــاهد ورواد الجمـــع القرآني كزيد بن ثابت وأبي بكر وعثمان رضي الله عنهم جميعا.

لقد تبين لهؤلاء المستشرقين أن العلوم الإسلامية وعلى رأسها العلوم القرآنية قـــد استوت معالمها ومرتكزاتها على أساس وبناء صرح المرحلة التأسيسية في عهد الصحابة والتابعين.

من أجل ذلك تفتقت أذهان القوم على التفكير في إعادة بحث ودراسة تلك المـــرحلة بصورة تهدف إلى قلب الحقائق المقطوع بها وتضعيف الروايات الصحيحة

ولي أعـــناق النصـــوص المرفوعة وتعمد التحريف والخطأ، إلى غير ذلك من الطرق والمناهج التي استنفروا أجداها في إصابة المسلمات وأكثرها تحقيقا لأهدافهم.

أما فيما يتعلق بجمع القرآن فإن المستشرقين المعاصرين لم يتزكوا مرحلة من مراحله الثلاث إلا ونسجوا حولها سياجا من الافتراءات والشبهات، فالرسولﷺ لم يجمع القرآن في مصحف لأنه لم يكن يفكر سوى في الحاضر ولأنه أيضا كان يتوقع قـــرب قـــيام الساعة[24] فلا داعي إذن لجمعه، وزيد بن ثابت (ض) لم يكن ذلكم الـــرجل المؤهـــل والموثـــوق بأمانته في مهمة جمع القرآن في عهد أبي بكر (ض)، ومصاحف الصحابة الخاصة التي انفردوا فيها بقراءات شاذة كانت أكبر دليل على عدم تواترية القرآن وموثوقيته إلى غير ذلك من الشبهات.

أما في علم التفسير فابن عباس (ض) كان شخصية أسطورية حسب عنوان بحـــث نشره الفرنسي كلود جيليو[25] "Le portrait mythique d'ibn Abbas". ويـــبدو أن الـــرجل قد تأثر بما سبق أن أفكه سبرنجر (Sprenger) في أواسط القرن التاســـع عشر من أن ابن عباس (ضما) كان كاذبا، وأن معظم الروايات التي تتصل به متناقضة و مكذوبة ، ولم يجد جيليو ما يعزز به كلامه سوى الرجوع إلى ما أثر عن بعض الصحابة والتابعين من أقوال تدل على تورعهم وامتناعهم من الخوض في التفســـير، وكان المستشرق الفرنسي أمام هذا العزوف عن القول في التفسير الذي أبـــداه بعض رجال السلف ممن خشوا القول بالرأي في التفسير استرعاه الكم الهائل مـــن المـــرويات والمـــأثورات – وقـــد وصفها بالعدد الذي لا يحصى Nombre incalculable– الـــتي تستند إلى حبر الأمة الذي دعا له الرسول ﷺ بقوله: "اللهم فقهـــه في الدين وعلمه التأويل"، ولم يكن في وسع الرجل ولا في مقدوره أن يعي جـــيدا بـــركة هـــذا الدعاء النبوي، كما أنه تجاهل معايير وموازين النقد الحديثي

للمرويات التي كانت تفرض على العلماء والنقاد قبول ما كان صحيحا واستبعاد ما كان ضعيفا أو مختلفا.

لقد حاول الرجل أن يبرهن أيضا على أن نمو وتكاثر الأحاديث والروايات المنسوبة إلى ابن عباس كان الهدف منه إعطاء سند مرجعي موثق لتلك الأحاديث التي كانت تخدم أغراض المذاهب السياسية والفقهية وغيرها. ويمكن القول بأن افتراءات المستشرق الفرنسي في حق ابن عباس (ضمنا) كأكبر رموز علم التفسير هي نفس الافتراءات التي أبداها جولدزيهر[26] وشاخت[27] فيما قبل في حق أبي هريرة (ض) كأكبر رواة علم الحديث، فإذا كان هذان المستشرقان قد تظافرت جهودهما من أجل العمل على تدمير الثقة في رواية الإسلام فإن ذلكم المستشرق الفرنسي قد ولى وجهته نحو ميدان علم التفسير ووضع نصب عينيه مهمة توهين الثقة في ترجمان القرآن ابن العباس (ضمنا) وتحطيم الاعتقاد السائد لدى المسلمين بزيادة ابن عباس وغيره من كبار الصحابة والتابعين في وضع أسس علم التفسير، ولا شك أن الرد على هذا المستشرق فيما إفتراه على ابن عباس في مجال علم التفسير وما ادعاه مما لا أساس له من الصحة يحتاج إلى وقفات طويلة للرد على ما ضمنه أطروحته للدكتوراه حول تفسير ابن جرير الطبري[28] وبحثين له حول ابن عباس والبدايات الأولى لظهور علم التفسير[29]. وهو ما نعد بحول الله القيام به مستقبلا.

هكذا إذن يتبين لنا عمق المناهج الاستشراقية في دراسة القرآن الكريم وعلومه، لأنها مناهج تعالج الظواهر والوقائع وفق منظور مادي وعقلي محض، وهذا مالا يتناسب ودراسة القرآن الكريم التي لا تخضع لمنهج التجربة ولا يمكن أن تطوع لأحكام العقل. وإذا كان علماء الأديان الغربيون قد درسوا التوراة والإنجيل وفق

تلك المناهج المادية في إطار الدراسات الدينية المقارنة ، فإن أمر القرآن الكريم يختلف عـــن ذلـــك ، فهو وحي إلهي لم تمسه تحريفات إنسانية أو تغييرات الزمان ، لذلك وجب على من يدرسه و يحلل قضاياه أن يدرسه بعقلية تؤمن الغيب و ما ترتب عن ذلـــك و ليس من المتاح لفئات المستشرقين قدامى كانوا أو معاصرين التخلص من خلفـــياتهم الفكرية التي نسجتها بآيات معينة وظروف خاصة ولا من رؤاهم المادية والتغريبية التي أملتها في البحث والتحليل.

الهوامـــش

[1]-Théodore Noldeke : Geschichte des Qorans : Leipzig 1919 (Tome I-II) 1938 (T.III).

[2] – منغمري وات: محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، المكتبة العصرية بيروت ص 5.

[3]-M. Rodinson : Mohamed, ed le seuil, 1961 p 256.

[4] – نشرها أوتو برتزل ضمن سلسلة "نشريات إسلامية" Bibliotheca Islamica وذلك عام 1930.

[5] – نشره برجستراسر عام 1932.

[6]-Encyclopédie de L'Islam, 2 eme 2dition 1985, tome V art «quran ».

[7] – من المعلوم أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يكتبون لأنفسهم مصاحف خاصة قيدوا فيها سور القرآن، وذلك بموازاة مع ما كان يكتب بإجماع الصحابة على يد جماع القرآن ممن كلفهم الرسول ﷺ بذلك أو أبو بكر فيما بعد أو عثمان (ض) عند الجمع النهائي. وقد جاءت هذه المصاحف متفاوتة ومختلفة سواء من حيث ترتيب السور أو من حيث تضمنها لقراءات شاذة متعددة أو قراءات تفسيرية كان الصحابي يدرجها في مصحفه للاستفادة بها في استيعاب مضامين الآيات، ولذلك لما جمع عثمان (ض) الناس على مصحف إمام أمر بإحراق سائر المصاحف الفردية التي لا يمكن الاحتجاج بها.

[8] – الباقلاني: إعجاز القرآن، طبعة عالم الكتب بيروت 1988 ص262.

[9]- Régis Blachère : Introduction au Coran, 2eme éd. paris 1977 p 69 Notre 89.

ونص كلام بلاشير: "انظر كتاب نولدكه"، "تاريخ القرآن" (مع هامش يحيل على تفسير الطبري لكنه غير صحيح)، حيث يورد نولدكه رواية مفادها أن الصحابي أنيس بن مالك (ت 91هـ) كان يعتبر قراءة "أقوم" مثل "أصوب في الآية 6 من سورة المزمل".

[10]- Blachère : op cit p 243, note 349.

[11] – انظر اعتماد جولدزيهر على هذه الكتب في كتابه، طبعة دار اقرأ البيروتية الثانية 1983 ص 78 - 83 - 91 وانظر اعتماد بلاشير على مروج الذهب في كتابه ص29 و76 وغيرهما.

[12] - Abraham Geiger : was hat Mohammed aus dem Jdentum aufgenommen bonn 1833.

[13] - Le Coran : L'appel, trad. de André Chouraqui, ed Robert laffont- paris 1991.

[14] – جولدزيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وزميلهن ص 17.

[15] - Arthur Jeffery : The Koran : Selected Suras transtated Heritage, New york 1982.

[16] - Rodwell : The Koran, London 1909 p69.

[17] - Caude Gilliot : Coran: Isra, 1 dans la recherche occidentale in : le voyage initiatique en terre d'Islam (ouvrage collectif) pecters, Louvain- paris 1996 p 9.

[18]- Geschichte des Qorans : 1/134 (cité par Gilliot, ibid)

[19] – انظر على سبيل المثال ما أورده الرازي في تفسيره 154/20 (طبعة دار الفكر 1981) من حديث عن بلاغة الالتفات الحاصلة بين الآية الأولى وبقية الآيات.

[20] – سورة النور الآيات: 27- 28.

[21] – وات: محمد في مكة ص 430.

[22]- Blachère : op cit p 16.

[23] – الإتقان للسيوطي 164/1.

[24] – هذه نظرية أو هي منبت العنكبوت نسجها المستشرق الفرنسي كازانوفا Casanova في كتاب حمل عنوان: "محمد ونهاية العالم" Mohammed et la fin de monde وقد رد عليه كثير من المستشرقين أمثال بلاشير (Introduction p24) ويعتبر المستشرق الفرنسي المسلم ناصر الدين دينه Etienne dinet أبرز من تصدي لنظرية كازانوفا في كتابه "الشرق في نظر الغرب"

L'orient vu de L'occident, paris 1921, pp. 43- 92.

[25] - ARABICA, N° 32 (1985) p 62 - 67.

[26]- Goldziher : Mohammed aniche Studien (1889) (trad. français par Léon bercher - paris 1952 p 161).

[27] - J. Schacht : Introduction au droit musulman.

[28] - C. Gilliot : Exégèse, langue et théologie en Islam. Léxègèse coranique de tabari ; paris 1990.

[29]- C. Gilliot: Les débuts de Léxègèse coranique in R.E.M.M.M N° 58/1990.